

"قراءة العالم"

فرصة ثانية لتعلم القراءة: تأثير برنامج تدخّل في موضوع الوعي القرائي على مهارة

القراءة، وبالتالي على جودة حياة البالغين من ذوي الإعاقة الذهنية

البروفيسور شونيت رايتز، أيفيت شينغورس، ود. ميخال شاني

جامعة حيفا

2011

(الرقم في الكاتالوج: 49)

يسلّط العمل الحاليّ الضوء على أهمية منح فرصة ثانية لأشخاص بالغين ذوي محدودية عقلية لاكتساب مهارات الوعي القرائي، وذلك بغرض توسيع فرص انخراطهم في المجتمع. في خلفيّة هذا البحث يقع برنامج تدخّل في الوعي القرائي جرى تنفيذه في إطار الدراسات المتقدمة في جامعة حيفا. الهدف من البحث هو مراجعة وفحص تأثير برنامج التدخّل في مجال الوعي القرائي على مهارات القراءة والكتابة، وفهم المقروء، والذاكرة اللغوية، وكذلك مساهمته في تحسين جودة حياة البالغين ذوي إعاقة عقلية.

اليوم -وأكثر من أي وقت مضى- تبتوُّ القدرة على القراءة مكانةً مهمّة -لا بل ضرورية- في الحياة اليومية (هدار، 2000). التحكّم باللّغة والوعي القرائي بمكّنان الفرد من فهم الرموز والإشارات المعروضة في عالمنا الحديث، في كوكبة من المجالات الاجتماعية والسياسية والتشغيلية والاقتصادية. إلى ذلك، تُعزّز الدراية في اللغة التطوّر على المستوى الفرديّ (ألور، 1998؛ Mike, 1995). عدم القدرة على الكتابة والقراءة يعيق انخراط الأشخاص مع محدودية عقلية في المجتمع، يجد من لا يملكون ناصية القراءة والكتابة صعوبة في فهم الرموز الضرورية لأدائهم اليوميّ، وقد تتجسّد صعوباتهم في قدرة الاهتمام داخل الحيز، وفي متناوئية المعلومات والمعرفة، وفي مستوى الانخراط المجتمعيّ، وفي تنظيم المعرفة وتخطيط الأجنحة اليومية، وما شابه. من هنا تبرز أهمية تقديم الدعم الخارجيّ على المستوى اليومي عند تنفيذ مهمّات تتطلّب قدرات لغوية. غياب كفاءات الوعي اللغويّ إلى جانب تلقّي المساعدة من الآخرين قد يلحقان الضرر بالتقييم الذاتي، وفي إحساس الفرد بالقدرة على تدبّر اموره. من شأن كل هذه أن تتسبّب في الإحجام عن الخوض في التحديات، وفي فقدان المهارات المطلوبة للانخراط المجتمعيّ. الوعي اللغوي يشكلّ إذاً أداة مركزيةً تمكّن الفرد من تطوير الأداء المستقلّ، لذا فهي

تُساهم على نحو كبير في رفع مستوى جودة حياة الشخص الذي يعاني من المحدودية (Dowing, 2005). نظرية جودة الحياة السائدة اليوم تشير إلى أن الحياة ذات المغزى تتعلق بالدرجة التي يستنفذ فيها الفرد قدراته الفردية الكامنة، ويحقق الاكتفاء، ويشعر أنه يتحكم بحياته، ويملك القدرة على الاختيار، ويتمتع بالرفاهية النفسية. تُشتق جودة الحياة من تصور الفرد الذاتي، في الوقت الذي يعي فيه هذا الفرد منظومة قيمه واحتياجاته، ويشارك على نحو فاعل في صياغتها. (شالوك، 1988، رايت، 1997).

الانتقال من نظرة طبية إلى نظرة اجتماعية واستعراض العلاقة بين المحدودية والوعي اللغوي - القرائي يفندان الادعاء أن الإعاقة العقلية هي المعيار الوحيد لعدم القدرة على اكتساب القراءة. هذا الواقع يستدعي التطرق إلى مواقف البيئة المحيطة وإلى المساعي القليلة التي تُبذل لإكساب الوعي القرائي (Kliwer, Biklen, Kasa-Hendrickson, 2006; Browder et al, 2006).

تُفسر نظرية التغير الذهني - البيئي قدرات التعلم الكامنة في سن المراهقة دون علاقة بدرجة خطورة ومسببات الإعاقة (Feuerstein, Rand, Hoffman, & Miller, 1980; Feuerstein, 1977). تنطلق هذه النظرية من الفرضية القائلة أن الفرد بطبيعته يملك قدرة على التغيير نتيجة لتأثيرات محيطية في تنويعه من المهمات الذهنية المحفزة في جميع الأعمار. إخراج هذه القدرة الكامنة إلى حيز التنفيذ يستوجب تدخلا تربويا - توسطيا عينا (Feuerstein, 1991).

جرى تنفيذ خطة التدخل من قبل طاقم مهني لمدة عام كامل على امتداد ثلاثة فصول تدريسية، لمرتين في كل أسبوع، وبما مجموعها 448 ساعة أكاديمية. شارك في البرنامج 21 شخصا بالغا في سن 19-36، وجميعهم من ذوي محدودية عقلية مُعرّفة كتخلّف عقلي خفيف حتى متوسط. يسكن المشاركون في البرنامج في مساكن داخل المجتمعات المحلية، ويسكن بعضهم في منازل عائلاتهم. جرت ملائمة بنية التعليم لعالم المضامين البالغ ولمميزات تعلم المشاركين. جرى خلال التعليم تسليط الضوء على المواضيع التالية: إكساب مهارة القراءة، والقراءة المحيطية، والاتصال، وحكايات من عالم المضامين الملائم، وزيارات إلى موقع غنية بالمضامين اللغوية (كالمتاحف والمكتبات، وما شابه).

دمج البحث بين المنهجية الكمية وتلك النوعية، وأجريت اختبارات في القراءة والكتابة الحفظ وفهم المقروء (اختبارات أ-ت، ومنظومة لتشخيص سيرورات القراءة بحسب المعايير القطرية). جرى تمرير الاختبارات للمجموعة (n=21)، وبمجموعة المراقبة (n=19) قبل وبعد تنفيذ البرنامج. عند فحص تأثير برنامج التدخل في الوعي اللغوي على مهارات القراءة أجريت مقارنات بين الفترتين داخل كل واحدة من المجموعتين بواسطة اختبارات Wilcoxon signed-rank test لعينات غير مستقلة. أجريت اختبارات Wilcoxon signed-rank test لعينات تابعة بغرض المقارنة بين مجموعتي البحث. بالإضافة إلى ذلك اشتمت مجموعات بؤرية من المجموعات الكبيرة، وأجريت مقابلات فردية مع أبناء العائلة وأفراد طواقم المساكن.

فحصت فرضيات البحث الكمية العلاقة بين المشاركة في برنامج الوعي القرائي - اللغوي وبين تحسين قدرات تفكيك النغمات، والقراءة الدقيقة والمنسابة، والقدرة على فهم النص واستخلاص معانيه، والحفظ، وكتابة الكلمات وهجائها. طرحت فرضيات أخرى عدم وجود علاقة بين مستوى الإعاقة العقلية (التخلف الخفيف - المتوسط)، وسن المشاركين في البحث (19-36) وبين القدرات اللغوية. أما فرضيات البحث النوعية فقد تناولت تأثير برنامج التدخل على جودة حياة البالغين ذوي الإعاقة العقلية. تفرع من هذا السؤال عدد من الأسئلة الثانوية. في بداية البرنامج قمنا بفحص أسباب رغبة المشاركين في التعلم، وفي نهايته قمنا بفحص مواقف المشاركين، والطاقتهم، والأمهات، حول الفائدة التي استخلصت منه. أظهرت نتائج البرنامج تحسنا حاسما (من الناحية الإحصائية) في تحصيل المشاركين بكل ما يتعلق بقراءة الكلمات وفهم المقروء في المهمات بعامة، وفي المهمات التي تقيس الذاكرة اللغوية، وفي الكتابة. لم يطرأ تغيير على مؤشر الوتيرة الذي يقيس سرعة القراءة. قرأ المشاركون وكتبوا بدقة أكبر لكن بوتيرة بطيئة. لم يُعثر على علاقة بين مستوى التخلف العقلي وبين قدرات الوعي اللغوي - القرائي. من هنا نستنتج أن الإعاقة الذهنية لا تُشير بالضرورة إلى انعدام القدرة على اكتساب كفاءات لغوية، وعلى الأقل في مستويات التخلف التي قمنا بقياسها. أظهر المشاركون كذلك قدرة تعلم في سن الكبر، وعلى الأقل حتى سن السادسة والثلاثين. أظهر البحث النوعي ارتباط اكتساب مهارة القراءة بمتغيرات إضافية ومنها انكشاف المشاركين على التعلم كأشخاص بالغين وناضجين يدركون دور القراءة في تعزيز استقلاليتهم وانخراطهم في المجتمع وتحسين جودة حياتهم. تناولت المواضيع التي أشارت إلى دوافع التعلم الرغبة في التعلم والتقدم، والاعتراف بمساهمة قدرات الوعي القرائي - اللغوي في إدارة الحياة، وفي السعي لتخفيف الاعتماد على الآخرين. اشتقت مواضيع أخرى من مقابلات أجريت مع المشاركين وأفراد الطاقم والأمهات في نهاية البرنامج، وتناولت الفائدة التي جناها المشاركون في مجال الإحساس بالقدرة، والمكانة الشخصية في الحيز الاجتماعي والعائلي، والتعلم والتطور كفرصة لتحقيق الذات، والمهارات اليومية، واستخدام الخدمات المجتمعية وأجهزة الاتصال.

أفضى تحليل نتائج البحث إلى استنتاج مفاده أن البرنامج قد ساهم في فهم القدرات الكامنة لدى البالغين ذوي المحدودية الذهنية في اكتساب كفاءات القراءة ومهارات لغوية أخرى لصالح رفايتهم وجودة حياتهم. يساهم البحث الحالي في توسيع رقعة المعارف النظرية، ويعزز نتائج الأبحاث الأخرى التي تشير إلى امتلاك هذه الفئة قدرة اكتساب اللغة في سن المدرسة وسن التقدم لامتحانات البجروت. يمكن استخدام البرنامج الحالي كأمودج للبرامج المعدة للأفراد ذوي المحدودية الذهنية، من أجل تحسين جودة حياتهم.